سُورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

اللغة :

(يفتنون) : يختبرون من فتن فلان يفتنه من باب ضرب : خبره وأحرقه وأضله ، يقال فتن الصائغ الذهب : أذابه بالبوتقة

ليختبره وليميز الجيد من الرديء وبـال فتنه يفتنه من باب ضرب أيضاً أعجبه واستماله وأوقعه في الفتنة .

الاعراب :

« الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون » ألم تقدم اعرابها والقول فيهـا وفي فواتح السور ، وأحسب الهمزة للاستفهام التقريري أو التوبيخي وحسب فعل ماض ينصب مفعولين قال الزمخشري : « الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل » ولذلك احتاج الى مفعولين والناس فاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب وأن يقولوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض وهو متعلق بمحذوف حال اذا قدر حرف الجر باء ، ولك أن تقدر حرف الجر لامـاً فيكون تعليلاً للترك متعلقاً به أي لأجل قولهم ، وجملة آمنا مقول القول والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يفتنون خبر هم والجملة حالية ومعنى الآية أحسب الذين نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركون غـير ممتحنين لا بل يمتحنون ليتبـين الراسخ في الدين من غيره ، وهذا أحد أعاريب رأيناه أسهلها ، ونورد هنا عبارة الزمخشري لنفاستها قال :

« تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله « فتركنه جزر السباع ينشنه » ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فإن قلت : أن يقولوا هو

علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ ؟ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديباً تعليلين ، وتقول أيضاً حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبراً » وسيأتي المزيد من أبحاث هذه الآية في باب الفوائد .

(ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وفتنا فعل وفاعل والذين مفعوله ومن قبلهم متعلقان بمحذوف هو صلة الذين والفاء عاطفة واللام موطئة للقسم وليعلمن فعل مضارع مبني على الفتح والله فاعل والذين مفعوله وجملة صدقوا صلة وليعلمن الكاذبين عطف على ما تقدم وسيأتي سر المخالفة بين صدقوا والكاذبين في باب البلاغة والمعنى أن الفتنة والامتحان أمران لا بد منهما لابتلاء الخلق وقد تعرضت لهما الخلائق في مختلف ظروف الزمان والمكان . (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون) أم منقطعة ومعناها بل وهي للاضراب الانتقالي ولا بد من همزة في ضمنها للتقرير والتوبيخ ، وحسب فعل ماض والذين فاعل وجملة يعملون السيئات صلة وأنْ وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب ، قال الزمخشري : « فإن قلت أين مفعولا حسب ؟ قلت : اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة » ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن

انه لا يجازى بمساويه » وساء فعل ماض جامد لإنشاء الذم وفاعله مستتر تقديره هو وما نكرة منصوبة على التمييز وجملة يحكمون صفتها والمخصوص بالذم محذوف أي حكمهم ويجوز أن تعرب ما اسم موصول فاعل وجملة يحكمون صلتها ، ويجوز أن تكون مصدرية أي حكمهم وعلى هذا يكون التمييز محذوفاً أي ساء حكماً حكمهم • (من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم) من اسم شرط جازم مبتدأ وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسم كان مستتر يعود على من وجملة يرجو خبر كان ولقاء الله مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن أجل الله ان واسمها واللام المزحلقة وآت خبر إن والواو حرف عطف وهو مبتدأ والسميع العليم خبران لمن ، وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من •

(ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ وجاهد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وانما كافة ومكفوفة ويجاهد فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ولنفسه جار ومجرور متعلقان بيجاهد وإن واسمها واللام المزحلقة وغني خبر إن وعن العالمين متعلقان بغني والجملة تعليلية لما سبق من تقرير أن جهاد الشخص لا يصل منه الى الله نفع • (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا واللام موطئة للقسم ونكفرن فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة خبر الذين وعنهم متعلقان بنكفرن وسيئاتهم مفعول به • (ولنجزينهم أحسن الذي

كانوا يعملون) ولنجزينهم عطف على لنكفرن وأحسن مفعول به ثان والذي مضاف اليه وجملة كانوا صلة وجملة يعملون خبر كانوا •

البلاغـــة :

١ ــ التعبير بالصيغة الفعلية والصيغة الاسمية :

في قوله تعالى « فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » مخالفة بين الصيغة الفعلية وهي « صدقوا » والصيغة الاسمية في قوله « الكاذبين » والنكتة في هذه المخالفة أن اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه لأن وقت نزول الآيـــة كانت حكاية عن قوم قريبي عهـــد بالاسلام وعن قوم مستمرين على الكفر فعبر في حق الأولين بلفظ الفعل وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات ، أما بالنسبة لعلم الله فلا يقال ان فيه تجدداً في علم الله تعالى بهم قبل الاختبار وإيهاماً بأن العلم بالكائن غير العلم بأنه سيكون ، والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بما لموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ها هنا وان كان سابقاً على وجود المعلوم التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال : لنعلمنهم فلنجازيهم بحسب علمه فيهم •

٢ ــ الحذف :

جرينا في اعراب قوله تعالى « من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت » على أن الفاء رابطة لجواب الشرط وان جملة ان أجل الله لآت هو الجواب وساغ وقوعه جواباً للشرط مع أن أجـــل الله آت

لا محالة من غير تقييد بشرط وانه ينعدم بانعدام الشرط ساغ وقوعه جواباً لأننا نعني بلقاء الله تلك الحالة الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحالّ هو الأجل المضروب للموت كأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقائي فإن يوم الجمعة قريب إذا علم وتعورف انك تقعد للاستقبال يوم الجمعة ، هذا ويجوز أن يكون من باب الحذف البلاغي والتقدير فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .

الفوائد :

أطال المعربون في التماس وجوه الاعراب لهذه الآية وهي « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يؤمنون » وقد اخترنا أمثل هذه الوجوه وأدناها الى المنطق كما أوردنا نص قول الزمخشري فيها وكلا الوجهين سائغ مراد ونريد أن نفصل لك القول في الظن والحسبان وغيرهما من الأفعال التي تسمى « أفعال القلوب » وانما قيل لها ذلك لأن معانيها قائمة بالقلب ، وليس معنى هذا أن كل فعل قلبي ينصب مفعولين بل القلبي ثلاثة أقسام مالا يتعدى بنفسه نحو فكر في الأمر وتفكر فيه ، وما يتعدى لواحد بنفسه نحو عرف الحق وفهم المسألة ، وما يتعدى لاثنين بنفسه وهو المقصود بالتسمية وأصل المفعولين المبتدأ والخبر ، ورد بعضهم وهو السهيلي هذا القول وقال كيف يكون نحو ظننت زيداً عمراً أصلهما مبتدأ وخبر وأجيب بأن المراد هو التشبيه بدليل أنه يقال : ظننت زيداً عمراً فتبين خلاف فالظن المذكور لتشبيهه به ، وأجاب بعضهم بجواب آخر وهو أنه متأول بمعنى ظننت الشيء المسمى بزيد مسمى بعمر كما أن قولك

زيد حاتم متأول بمعنى زيد مثل حاتم في المعنى ، استمع الى قول زفر ابن الحارث الكلابي :

وكنا حسبنا كـــل بيضاء شحمـــة

عشية لاقينـا جـــذام وحمـــيرا

فكل بيضاء مفعول حسبنا الأول وشحمة مفعوله الثاني وهو كناية عن أنه كان يظنهم شجعاناً فتبينوا بخلاف ذلك وبعد هذا البيت:

فلمـــا لقينا عصبـــة تغلبيـــة

يقودون جرداً في الأعنّـــة خمـــرا

سقيناهـــم كأساً سقونـا بمثلهـــا

ولكنهـم كانوا عـــلى المـوت أصبرا

فلما قرعنـا النبـــع بالنبـــع بعضه

ببعض أبت عيـــدانه أن تكسّـــرا

إذا عرفت هـذا كله فهمت معنى الآية بوضوح أي : أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم ، وتبجحوا بها ، واستطالوا على من سواهم انهم سيتركون غير ممتحنين ؟ لا بل سوف يمتحنهم الله بضروب الابتلاء وأنواع المحن حتى يسبر أغوارهم جميعاً ، ويبلو صبرهم وثبات أقدامهم ورسوخها في الايمان ، فليس الايمان كلمات تتردد على الألسنة وحسب لكنه يحتاج الى عمل أصيل ، وجهاد مستمر، ليسفر عملهم عما فيه نفع أمتهم ، وجهادهم عن تأثيل أوطانهم •

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

الاعراب :

(ووصينا الانسان بوالديه حسناً) كلام مستأنف للشروع في تقرير حق الأبوين وتحديد طاعتهما بعدم معصية الله • ووصينا فعل وفاعل والانسان مفعول به وبوالديه متعلقان بوصينا وحسناً نعت لمصدر وصينا على حذف مضاف أي إيصاء ذا حسن أو هو في نفسه حسن على المبالغة ، وقال الزجاج : « ومعناه : ووصينا الانسان أن يفعل بوالديه وما يحسن » • (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الواو عاطفة وان شرطية وجاهداك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والألف فاعل والكاف مفعول به ولتشرك اللام لام التعليل وتشرك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر تقديره أنت والجار والمجرور متعلقان بجاهداك وبي

متعلقان بتشرك وما اسم موصول مفعول به لتشرك ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه متعلقان بعلم وعلم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة ما ، فلا الفاء رابطة لجواب الشرط لأن الجواب جملة ولا ناهية وتطعهما فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والميم والألف حرفان دالان على التثنية والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب إن . (إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) إلي خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر والفاء حرف عطف وأنبئكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبما متعلقان بأنبئكم وجملة كنتم صلة ما وجملة تعملون خبر كنتم .

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) الذين مبتدأ خبره « لندخلنهم في الصالحين » أي في زمرة الراسخين في الصلاح ، ويجوز أن يكون في محل نصب على الاشتغال . وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات معطوفة على جملة آمنوا واللام موطئة للقسم وندخلن فعل مضارع مبني على الفتح وفاعله مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به وفي الصالحين متعلقان بندخلهم . (ومن الناس من يقول آمنّا بالله) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المنافقين بعد أن بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر أي ناس وهو أولى من جعلها موصولة وجملة يقول صفة لمن على اللفظ وجملة آمنا مقول القول وبالله متعلقان بآمنا . (فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) الفاء حرف عطف وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وفي الله متعلقان بأوذي وجملة أوذي في محل جر بإضافة الظرف اليها أي في سبيل الله وجملة جعل لا محل لأنها جواب إذا وفتنة الناس مفعول جعل الاول

وكعذاب الله في موضع المفعول الثاني ، أو الكاف اسم بمعنى مثل في موضع المفعول الثاني والمعنى جزع من أذى الناس ، فأطاعهم كما يطيع الله من يخافه • (ولئن جاءهم نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وان حرف شرط جازم وجاءهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به ونصر فاعل ومن ربك متعلقان بجاءهم أو بمحذوف صفة لنصر ، ليقولن : اللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل وجملة إنا مقول القول وان واسمها وجملة كنا خبرها ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر كنا • (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) الهمزة للاستفهام التقريري التوبيخي والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق وليس فعل ماض ناقص والله اسمها والباء حرف جر زائد وأعلم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وبما متعلقان بأعلم وفي صدور العالمين صلة ما • (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ويعلمن فعل مضارع مبني على الفتح والله فاعل والذين مفعول به وجملة آمنوا صلة وليعلمن المنافقين عطف على وليعلمن الذين آمنوا •

الفوائد :

روى التاريخ أن سعد بن أبي وقاص وهو من السابقين الى الاسلام حين أسلم قالت أمه وهي وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية ابن عبد شمس : يا سعد بلغني أنك قد صبأت ، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب عليّ حرام حتى تكفر

بمحمد ، وكان أحبّ ولدها إليها ، فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآيةوالتي في لقمان والتي في الأحقاف ، فأمره رسول الله أن يداريها ويترضّاها بالاحسان •

وفي رواية للقرطبي أن سعداً قال لها : والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي ، فلما رأت ذلك أكلت ، هذا ومعنى قوله فوالله لا يظلني سقف بيتمن الضح والريح كمافي الصحاح الضحالشمس وفي الحديث لايقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان • وقيل نزلت في عياش بن ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم بن حنظلة فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتاً حتى تراك وهي أشدّ حباً لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك عليّ أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر : أما إذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منها ريب فارجع ، فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل : إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطىء لنفسه وله فأخذاه وشدا وثاقه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت : لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت •

وسواء أكانت المناسبة هذه أم تلك فالمسألة عامة ، وبر الوالدين مطلوب شرعاً وطاعتهما واجبة إلا في المعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقوله « وفتلا منه في الذروة والغارب » قال الجوهري في صحاحه : « ما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خدعته » .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

الاعراب :

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) كلام مستأنف مسوق لبيان نموذج آخر من أضاليلهم . وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة الموصول وللذين متعلقان بقال وجملة آمنوا صلة الموصول وجملة اتبعوا مقول القول واتبعوا فعل وفاعل وسبيلنا مفعول ولنحمل الواو عاطفة واللام لام الأمر

ونحمل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وخطاياكم مفعول به وسيأتي معنى الأمر في باب البلاغة • (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) الواو حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وهم اسمها والباء حرف جر زائد وحاملين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ومن خطاياهم حال لأنه كان في الأصل صفة لشيء وتقدم عليه ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول حاملين وجملة إنهم لكاذبون تعليل للجزم بعدم حملهم شيئاً من خطاياهم وإن واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبرها • (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ويحملن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل وأثقالهم مفعول به وأثقالاً عطف على أثقالهم ومع أثقالهم ظرف متعلق بمحذوف صفة لأثقالاً • (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) الواو عاطفة ويسألن عطف على يحملن ويوم القيامة ظرف متعلق بيسألن وعما متعلقان بيسألن أيضاً وجملة كانوا صلة ما وجملة يفترون خبر كانوا • (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) كلام مستأنف مسوق لتأييد التكليف الذي ألزم محمد صلى الله عليه وسلم به أتباعه أي أنه ليس مختصاً بالنبي وأتباعه واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ونوحاً مفعول به والى قومه متعلقان بأرسلنا ، فلبث الفاء عاطفة ولبث فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على نوح وفيهم متعلقان بلبث وألف سنة نصب على الظرف لأنه عدد أضيف الى الظرف فأخذ منه ظرفيته وهو متعلق بلبث أيضاً وإلا أداة استثناء وخمسين منصوب على الاستثناء وعاماً تمييز وقد روعيت هنا نكتة نذكرها في باب البلاغة •

(فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) الفاء عاطفة وأخذهم الطوفان فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والواو حالية وهم مبتدأ وظالمون خبر • والطوفان ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج :

حتى إذا ما يومها تصببا وعم طوفان الظلام الأثأبا

والبيت للعجاج يصف بقرة وحشية وما زائدة بعد إذا عم بالمهملة ويروى بالمعجمة والمعنيان متقاربان والأثأب نوع من الشجر يشبه شجر التين الواحدة أثأبة ونسبة التصبب لليوم مجاز عقلي من باب الإسناد للزمان أي تصبب المطر وستر ظلامه الشجر الذي كان فيه •

(فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) الفاء عاطفة وأنجيناه فعل وفاعل ومفعول به وأصحاب عطف على الهاء أو مفعول معه وجعلناها الواو عاطفة وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به آية مفعول به ثان وللعالمين صفة لآية •

البلاغة :

١ — مجيء الأمر بمعنى الخبر :

في قوله « ولنحمل خطاياكم » الكلام أمر بمعنى الخبر يعني أن أصل ولنحمل خطاياكم : إن تتبعونا نحمل خطاياكم ، فعدل عنه الى ما ذكر مما هو خلاف الظاهر من أمرهم بالحمل ، وفي قوله : « انهم لكاذبون » نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر فإن من الناس من أنكره ولا حجة له لأن الله تعالى أردف قولهم

ولنحمل خطاياكم على صيغة الأمر بقوله : انهم لكاذبون ، والتنكيت إنما يتطرق الى الاخبار .

٢ ـ نكتة العدد :

وذلك في قوله « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » فإن الإخبار بهذه الصيغة يمهد عذر نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم إذ لو قيل : فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لما كان لهذه العبارة من التهويل ما للعبارة الأولى لأن لفظة الألف في العبارة الأولى في أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام من الاستثناء وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف فتعظم كبيرة قوم نوح عليه السلام في اصرارهم على المعصية مع طول مدة الدعاء .

وعبارة الزمخشري في صدد هذا العدد « فإن قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت : ما أورده الله أحكم لأنه لوقيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك ، وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملأ بالفائدة . وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره » .

نكتة ثانية في العدد :

وهناك نكتة ثانية وهو انه غاير بين تمييز العددين فقال في الأول « سنة » وقال في الثاني « عاماً » لئلا يثقل اللفظ ثم انه خص لفظ العام بالخمسين إيذاناً بأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما استراح منهم بقي في زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة .

نكتة ثالثة في العدد :

وهناك نكتة ثالثة اكتشفها الرازي قال : « فإن قلت ما الفائدة في مدة لبثه ؟ قلت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الاسلام فقال له الله تعالى : إن نوحاً لبث في قومه هذا العدد الكبير ولم يؤمن من قومه إلا القليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك » .

الفوائد :

في قوله « ولنحمل خطاياكم » الأصل دخول لام الأمر ولا الناهية على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين ويقل دخولها على المتكلم المفرد المعلوم فإن كان المتكلم غيره فدخولهما عليه أهون وأيسر كالآية المتقدمة وقول الشاعر :

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد

لها أبداً ما دام فيها الجراضم

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

الاعراب :

(وإبراهيم إذ قال لقومه) كلام مستأنف لسوق قصة ثانية بعد قصة نوح والطوفان • وابراهيم منصوب بفعل محذوف تقديره

أذكر ، وإذ الظرف بدل اشتمال من ابراهيم ولك أن تجعله كلاماً معطوفاً فتعطف ابراهيم على نوحاً وتعلق الظرف بأرسلنا والمعنى عندئذ أرسلنا إبراهيم حين بلغ من السن مبلغاً يخاطب فيه قومه بعبارات الوعظ والارشاد ، وجملة قال لقومه في محل جر بإضافة الظرف اليها ولقومه متعلقان بقال • (اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الجملة مقول قول ابراهيم لقومه ، واعبدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعوله واتقوه عطف على اذكروا الله وذلكم مبتدأ وخير خبر ولكم متعلقان بخير وإن شرطية وكنتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تعلمون خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فاعبدوا الله واتقوه • (إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً) إنما كافة ومكفوفة وتعبدون فعل مضارع وفاعل ومن دون الله حال وأوثاناً مفعول به وتخلقون إفكاً عطف على ما قبله ويجوز في الإفك أن يكون مصدراً وأن يكون صفة أي خلقاً إفكاً أي ذا إفك وباطل •

(إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً) إن واسمها وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال وجملة لا يملكون خبر إن ولكم متعلقان برزقاً ورزقاً مفعول به ليملكون لأنه بمعنى المرزوق أو مصدر مؤول من إن والفعل أن لا يقدرون أنيرزقوكم ويجوز نصبه على المصدر وناصبه لا يملكون لأنه في معناه • (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون) الفاء الفصيحة وابتغوا فعل أمر وفاعل وعند الله متعلقان بابتغوا والرزق مفعول ابتغوا واعبدوه واشكروا له عطف على ابتغوا واليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل •

(وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) عطف على ما تقدم منتظم في سلك حديث ابراهيم عليه السلام لقومه ، وان شرطية وتكذبوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل ، فقد الفاء رابطة للجواب لاقترانه بقد وكذب أمم فعل وفاعل ومن قبلكم صفة لأمم وقيل جواب الشرط محـذوف أي فلا يضرني تكذيبكم فقد كذّب أمم من قبلكم أنبياءهم ورسلهم ، وما الواو حالية أو استئنافية وما نافية وعلى الرسول خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر والمبين صفة لبـلاغ • (أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولم حرف نفي وجزم وقلب وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وجملة يبدىء الله الخلق في محل نصب مفعول يروا لأنها علقت عن العمل بالاستفهام والرؤية قلبية والمراد بها العلم الصحيح الواضح لأنه كالرؤية البصرية ، ثم يعيده كلام مستأنف أو هو كلام معطوف على أولم يروا وسبب امتناع عطفه على يبدىء لأن المقصود الاستدلال بما علموه من أحوال المبدأ على المعاد لإثباته فلو كان معلوماً لهم لكان تحصيلاً للحاصل ولا يقال انه من قبيل عطف الخبر على الانشاء لأن الاستفهام متضمن معنى الانكـار والتقرير فهو بمثابة الإخبار وإن واسمها وعـلى الله متعلقان بيسير ويسير خبر إن •

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) الكلام حكاية قول ابراهيم لقومـه أو حكاية قول الله لابراهيم وسيروا فعل أمر مبني عـلى حذف النون والواو فاعل وفي الأرض متعلقان بسيروا ، فانظروا عطف على سيروا وكيف حال وبدأ الخلق فعل وفاعل مستتر

ومفعول به والجملة في محل نصب مفعول انظروا المعلقة بسبب الاستفهام . (ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) ثم حرف عطف والله مبتدأ وجملة ينشيء خبر والنشأة الآخرة نصب على المصدرية المحذوفة الزوائد والأصل الإنشاءة وقريء النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر ان . (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون) الجملة حالية أو خبر ثان لإن أو مستأنفة ويعذب فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله ومن مفعوله وجملة يشاء صلة من ويرحم من يشاء عطف على يعذب من يشاء وإليه متعلقان بتقلبون وتقلبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومعنى تقلبون: تردون وترجعون . (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنتم اسمها والخطاب لأهل الأرض والباء حرف جر زائد ومعجزين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما وفي الأرض حال ومفعول معجزين محذوف للعلم به أي الله تعالى أي لا تفوتونه إن حاولتم الهرب من قضائه ، ولا في السماء عطف على في الأرض ان حمل السماء على العلو فجائز ، أي في البروج والقلاع الذاهبة في العلو ، ويكون تخصيصاً بعد تعميم وما نافية ولكم خبر مقدم ومن دون الله حال ومن ولي من حرف جر زائد وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر ولا نصير عطف على من ولي .

(والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي) والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة وبآيات الله متعلقان بكفروا ولقائه عطف على آيات وأولئك مبتدأ وجملة يئسوا من رحمتي خبر أولئك

وجملة أولئك يئسوا خبر الذين . (وأولئك لهم عذاب أليم) وأولئك الواو عاطفة وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة لعذاب وجملة لهم عذاب أليم خبر أولئك .

البلاغـة :

١ ـ نكر الرزق في قوله (لايملكون لكم رزقاً) ثم عرفه بقوله « فابتغوا عند الله الرزق » لأن الأول مقصور عليهم فاستوجب أن يكون ضئيلاً قليلاً فنكره تدليلاً على قلته وضآلته ، ولما كان الثاني مبتغى عند الله استوجب أن يكون كثيراً لأنه كله عند الله فعرفه تدليلاً على كثرته وجسامته .

٢ ـ الاضمار والاظهار :

في قوله « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة » فن قل من يتفطّن اليه لأنه دقيق للغاية ولا يجنح إليه الكاتب أو الشاعر إلا لفائدة تربو على البداهة وهي تعظيم شأن الأمر . ألا ترى أنه صرح باسمه تعالى في قوله « ثم الله ينشىء النشأة الآخرة » مع إيقاعه مبتدأ ، وقد كان القياس أن يقول : كيف بدأ الله الخلق ثم ينشىء النشأة الآخرة فأفصح باسمه بعد إضماره والفائدة في ذلك أنه لما كانت الإعادة عندهم من الأمور العظيمة وكان صدر الكلام واقعاً معهم في الإبداء وقرر لهم أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الاعادة إنشاء مثل الابداء وإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الإبداء فوجب أن لا تعجزه الإعادة

فللدلالة وللتنبيه على عظم هـذا الأمر الذي هو الاعـادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ، والأصل في الكلام الاظهار ثم الإضمار ويليه لقصد التفخيم الإظهار بعد الإظهار ويليه وهو أفخم الثلاثة الإظهار بعد الإضمار كما في الآية •

وعلى هذا يقاس ما ورد من كلامهم كقول بعضهم يصف لقـاء مع بني تميم قـال : « ولما تلاقينا وبنو تميم أقبلوا نحونا يركضون فرأينا منهم أسوداً ثكلاً تسابق الأسنة الى الورود ، ولا ترتد عـلى أعقابها إذا ارتدت أمثالها من الأسود وتناجـد بنو تميم علينا بحملة فلذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الإدبار » فإنه إنمـا قيل « وتناجد بنو تميم » مصرحاً باسمهم ولم يقل وتناجـدوا كما قيل « أقبلـوا » للدلالة عـلى التعجب من إقدامهم عند الحملة وثباتهم عنـد الصدمة لا سيما وقد أردف ذلك بقوله « لذنا بالفرار ، واستبقنا الى توليـة الأدبار » كأنه قـال : وتناجد أولئك الفرسان المشاهير ، والفرسان الكماة المناكير وحملوا علينا حملة واحدة فولينا مدبرين منهزمين •

ولقد أشار الامام الرازي الى هذه النكتة ولكنه أوردها مورداً آخر ولذلك ننقل عبارته بنصها : « أبرز اسم الله في الآية الأولى عند البدء حيث قال : كيف يبدىء الله الخلق وأضمره عند الإعادة ، وفي هذه الآية أضمره عند البدء وأبرزه عند الإعادة حيث قـال : ثم الله ينشىء النشأة لأنه في الآية الأولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند اليه البدء فقال يبدىء الله ثم قال : ثم يعيـده وفي الآية الثانية كان ذكر البدء مسنداً الى الله تعالى فاكتفى به وأما اظهاره عند الانشاء ثانياً حيث قال : ثم الله ينشىء النشأة ، فليقع في ذهن السامع كمال قدرته

وعلمه وإرادته ولم يقـل يعيده بل قال ينشىء للتنبيه عـلى أن البدء يسمى نشأة كالإعادة والتغاير بينهما بالوصف حيث قالوا : نشأة أولى ونشأة ثانية » .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

الاعراب :

(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعـل ماض ناقص وجواب خبرها المقدم وإلا أداة حصر وأن قالوا مصدر مؤول هو اسم كان المؤخر أي قال بعضهم لبعض فكانوا جميعاً في حكم القائلين ، واقتلوه فعـل أمر وفاعـل ومفعول به والجملة مقول القول وأو حرف عطف وحرّقوه عطف

على اقتلوه • (فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الفاء الفصيحة أي فقذفوه في النار فأنجاه الله ، وأنجاه الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومن النار متعلقان بأنجاه وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يؤمنون صفة لقوم • (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) الواو عاطفة وقال عطف على أنجيناه وإنما كافة ومكفوفة واتخذتم فعل وفاعل ومن دون الله في موضع المفعول الثاني لاتخذتم وأوثاناً مفعول به أول لاتخذتم ومودة مفعول لأجله أو منصوبة بفعل محذوف تقديره أعني وبينكم مضاف الى مودة وفي الحياة الدنيا متعلقان باتخذتم أو بمحذوف حال• وهذه الآية شغلت المعربين كثيراً لاختلاف قراءاتها وتباين وجهات النظر فيها وقد ابتسرنا الكلام في الاعراب على قراءة حفص واخترنا أمثل الأوجه وأسهلها وسننقل في باب الفوائد غيضاً من فيض مما قيل فيها شحذاً للأذهان • (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) ثم حرف عطف للتراخي ويوم القيامة ظرف متعلق بيكفر وبعضكم فاعل وببعض متعلقان بيكفر أيضاً ويلعن بعضكم بعضاً فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) مأواكم مبتدأ أو خبر مقدم والنار خبر أو مبتدأ مؤخر والواو عاطفة وما نافية ولكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين مبتدأ مؤخر وهو مجرور لفظاً •

(فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم) الفاء عاطفة وآمن فعل ماض ولوط فاعله وله متعلقان بآمن وقال عطف على فآمن وفاعله مستتر يعود على ابراهيم ولذلك يجب الوقف على

لوط لأن قوله إني مهاجر مقول ابراهيم فلو وصل لتوهم أن الفعل الثاني للوط فيفسد المعنى وان واسمها ومهاجر خبرها وإلى ربي متعلقان بمهاجر أي الى حيث يأمرني ربي ، ففي الكلام مجاز ، وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إني أو خبر هو والجملة خبر إني والحكيم خبر ثان . (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) ووهبنا فعل وفاعل وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول به ويعقوب عطف عليه وجعلنا فعل وفاعل وفي ذريته في موضع المفعول الثاني والشجرة هي المفعول الأول والكتاب عطف على النبوة . (وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به والواو عاطفة وأجره مفعول به ثان وفي الدنيا حال وانه ان واسمها وفي الآخرة حال واللام المزحلقة ومن الصالحين خبر إنه .

الفوائد :

قدمنا لك أمثل الأوجه في إعراب قوله تعالى « وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا » ووعدناك أن ننقل شيئاً مما قالوه فيها وكله من الكلام الجيد والمنطق الحصيف ونبدأ بما قاله الزمخشري قال : « قرىء على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك ، فالنصب على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتوصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم، وأن يكون مفعولاً ثانياً كقوله: « اتخذ إلهه هواه » أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم

كقوله تعالى : «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله» وفي الرفع وجهان: أن يكون خبراً لأن على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة ، وعن عاصم : مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرىء « لقد تقطع بينكم » ففتح وهو فاعل ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه « أوثاناً انما مودة بينكم في الحياة الدنيا » أي إنما تتوادون عليها أو تودونها في الحياة الدنيا » .

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « وقال انما اتخذتم : في ما هذه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف وهو المفعول الأول وأوثاناً مفعول ثان والخبر مودة في قراءة من رفع كما سيأتي والتقدير إن الذي اتخذتموه أوثاناً مودة أي ذو مودة ، أو جعل نفس المودّة مبالغة ومحذوف على قراءة من نصب مودة أي الذي اتخذتموه أوثاناً لأجل المودة لا ينفعكم أو يكون عليكم لدلالة قوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض .

والثاني : أن تجعل ما كافة وأوثاناً مفعول به ، والاتخاذ هنا متعد لواحد أو لاثنين والثاني هو من دون الله فمن رفع مودة كانت خبر مبتدأ مضمر أي هي مودة أي ذات مودة أو جعلت نفس المودة مبالغة والجملة حينئذ صفة لأوثاناً أو مستأنفة ، ومن نصب كان مفعولاً له أو بإضمار أعني .

الثالث : ان تجعل ما مصدرية وحينئذ يجوز أن يقدر مضاف من الأول أي إن سبب اتخاذكم أوثاناً مودة فيمن رفع مودة ويجوز

أن لا يقدر بل يجعل نفس الاتخاذ هو المودة مبالغة ، وفي قراءة من نصب يكون الخبر محذوفاً على ما مر في الوجه الأول ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع مودة غير منونة وجر بينكم ، ونافع وابن عامر وأبو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكم ، وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم ، فالرفع قد تقدم والنصب أيضاً تقدم فيه وجهان ويجوز وجه ثالث وهو أن يجعل مفعولاً ثانياً على المبالغة للاتساع في الظرف ، ومن نصبه فعلى أصله ، ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على إضافة مودة للظرف وإنما بني لإضافته الى غير متمكن كقراءة « لقد تقطع بينكم » بالفتح إذا جعلنا بينكم فاعلاً » .

وفي كتاب أبي البقاء جاء قوله « قوله تعالى « انما اتخذتم » في ما ثلاثة أوجه أحدها هي بمعنى الذي والعائد محذوف أي اتخذتموه و « أوثاناً » مفعول ثان أو حال و « مودة » الخبر على قراءة من رفع والتقدير ذو مودة ، والثاني هي كافة وأوثاناً مفعول ومودة بالنصب مفعول له وبالرفع على اضمار مبتدأ وتكون الجملة نعتاً لأوثان ويجوز أن يكون النصب على الصفة أيضاً أي ذوي مودة ، والوجه الثالث أن تكون ما مصدرية ومودة بالرفع الخبر ولا حذف في هذا الوجه في الخبر بل في اسم ان والتقدير ان سبب اتخاذكم مودة ، ويقرأ مودة بالاضافة في الرفع والنصب و « بينكم » بالجر وبتنوين مودة في الوجهين جميعاً ، ونصب بين وفيما يتعلق به « في الحياة الدنيا » سبعة أوجه : (الاول) أن يتعلق باتخذتم إذا جعلت ما كافة لا على الوجهين الآخرين لئلا يؤدي الى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر و (الثاني) أن يتعلق بنفس مودة إذا لم تجعل

بين صفة لها لأن المصدر إذا وصف لا يعمل و (الثالث) أن تعلقه بنفس بينكم لأن معناه اجتماعكم أو وصلكم و (الرابع) أن تجعله صفة ثانية لمودة إذا نونتها وجعلت بينكم صفة و(الخامس) أن تعلقها بمودة وتجعل بينكم ظرف مكان فيعمل مودة فيهما و (السادس) أن تجعله حالاً من الضمير في بينكم إذا جعلته وصفاً لمودة و (السابع) أن تجعله حالاً من بينكم لتعرفه بالاضافة ، وأجاز قوم منهم أن تتعلق في بمودة : وإن كان بينكم صفة لأن الظروف يتسع فيها بخلاف المفعول به » •

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

اللغـــة :

(ناديكم) النادي والنـدوة والمنتدى مجلس القوم نهـاراً أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه وجمعـه أندية ولا تقل نواد ، وغلط صاحب المنجد فجمعه عـلى نواد ، وما يندوهم النادي أي ما يسعهم المجلس من كثرتهم • وقال الزمخشري : « ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً » •

الاعراب :

(ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) **عطف** علـى إبراهيم أو منصوب بفعل محـذوف تقديره اذكر ، والظرف بدل اشتمال من لوطاً وجملة قال في محل جر باضافة الظرف اليها ولقومه متعلقان بقال وجملة إنكم لتأتون مقول القول وان واسمها والـلام المزحلقـة وجملة تأتون خبرها والواو فاعـل والفاحشة مفعول به وجملة ما سبقكم مستأنفة مسوقة لتقرير فحشها وهجنة فاعلها ورجـح أبو حيان أن تكون حالية كأنه قـال : أتأتون الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها ، وما نافية وسبقكم فعل ماض ومفعول به وبها متعلقان بسبقكم ومن حرف جر زائد وأحد مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل سبقكم ومن العالمين صفـة لأحد . (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) الهمزة للاستفهام الانكاري وانكم إن واسمها واللام المزحلقة وجملة تأتون خبر إن والرجال مفعول به وتقطعون السبيل عطف على تأتون الرجال ، قيل انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين ، فلما فعلوا ذلك ترك الناس المرور بهم فقطعوا السبيل بهذا السبب ، وتأتون عطف أيضاً وفي ناديكم متعلقان بتأتون والمنكر مفعول به . (فما كان جواب قومـه إلا أن قالوا ائتنا بعـذاب الله إن كنت من الصادقين) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وجواب خبر كان المقدم وإلا أداة حصر وأن وما في حيزها اسم كان المؤخر وجملة ائتنا مقول القول وائتنا فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبعذاب الله متعلقان بائتنا وإن شرطية وكنت فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومن الصادقين خبرها وجواب إن محذوف

دل عليه ما قبله أي فائتنا بعذاب الله • (قال ربي انصرني على القوم المفسدين) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وانصرني فعل دعاء والفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول به وعلى القوم متعلقان بانصرني والمفسدين صفة للقوم •

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

اللغـــة :

(ذرعاً) : الذرع : الطاقة والقوة وفي المصباح : « ضاق بالأمر ذرعاً عجز عن احتمـــاله وذرع الانسان طاقته التي يبلغهـــا » وعبارة الزمخشري : « وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقاً له والأصل فيه

أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة » وفي الأساس واللسان العجيب من مجاز هذه الكلمة إذ يقال : ضاق بالأمر ذرعاً وذراعاً إذا لم يطقه وأبطرْتَ ناقتك ذرعها كلفتها ما لم تطق واقصِدْ بذرعك وارْبَع على ظلعك : ارفق بنفسك ، ومالك عليّ ذراع أي طاقة وطفت في مذارع الوادي وهي أضواجه ونواحيه وقد أذرع في كلامه هو يذرع فيه إذراعاً وهو الإكثار وفلان ذريعتي إليك وقد تذرعت به إليه أي توسلت وسألته عن أمره فذرّع لي منه شيئاً وذرعت لفلان عند الأمير : شفعت له وأنا ذريع له عنده ووقع فيهم موت ذريع : سريع فاش وذلك إذا لم يتدافنوا واستوى كذراع العامل وهو صدر القناة وهو لك مني على حبل الذراع أي حاضر قريب وجعلت أمرك على ذراعك أي اصنع ما شئت .

هذا والذراع من الرجل من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد مؤنثة فيهما وقد تذكّر والذراع من المقاييس طوله بين الخمسين والسبعين سنتيمتراً .

(رجزاً) : الرجز والرجس : العذاب من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب .

الاعراب :

(ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية) الواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي فاستجاب الله دعاء لوط وأرسل ملائكة لإهلاكهم وأمرهم أن يبشروا ابراهيم بالذرية

الطيبة فجاءوا أولاً إلى ابراهيم • ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءت رسلنا ابراهيم فعـل وفاعل ومفعول به وبالبشـرى متعلقان بجاءت وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة إنا مقول القول وإن واسمها ومهلكو خبرها وأهل هذه مضافين والقرية بـدل من هذه وهي سذوم أو سدوم وقد تقـدم تفصيل ذكرها فجدد به عهداً • (إن أهلها كانوا ظالمين) الجملة لا محـل لها لأنها تعليـل للإهـلاك وان واسمها وجملة كانوا خبرها وظالمـين خبر كانوا • (قال : إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) إن حرف مشبه بالفعل وفيها خبرها المقدم ولوطاً اسمها المؤخر وسيأتي معنى هذا الإخبار في باب البلاغـة وقالوا فعـل وفاعل ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبمن متعلقان بأعلم وفيها صلة من • (لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) اللام موطئة للقسم وننجينه فعل مضارع مبني على الفتح وفاعله مستتر تقديره نحن وأهله عطف على الهاء أو مفعول معه وإلا أداة استثناء وامرأته مستثنى وقد تقدم هذا وجملة كانت حالية وكانت فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هي ومن الغابرين خبرها أي الباقين في العذاب •

(ولما ان جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً) أن زائدة بعد لما تفيد المهلة مع الترتيب في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما وقد تقدم نظيرها في يوسف وجملة سيء بهم لا محل لها وسيء فعل ماض مبني للمجهول وبهم متعلقان بسيء ونائب الفاعل هو ضمير المصدر أي جاءته المساءة والغم بسببهم على حد قوله :

يغضي حيـــاء ويغضى من مهابتـــه

فمـا يُكلَّـــم إلا حـــين يبتسـم

وسيأتي تفصيل لهذا في باب الفوائد . وضاق بهم عطف على سيء وذرعاً تمييز محول عن الفاعل أي ضاق ذرعه بهم ، ويحتمل أن نائب الفاعل ضمير يعود على لوط (وقالوا لا تخف ولا تحزن إنّا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين) الواو استئنافية وقالوا فعل وفاعل وإنا إن واسمها ومنجوك خبرها والكاف في موضع جر بالإضافة وعلى هذا تنصب وأهلك بفعل محذوف أي وننجي أهلك ، وما بعده تقدم إعرابه . (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) ان واسمها ومنزلون خبرها وعلى أهل هذه القرية متعلقان بمنزلون ورجزاً مفعول به لمنزلون لأنه اسم فاعل ومن السماء صفة لرجز وبما الباء سببية وما مصدرية أي بسبب فسقهم ، وكان واسمها وجملة يفسقون خبرها . (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وتركنا فعل وفاعل ومنها متعلقان بتركنا أو هو المفعول الثاني لها وآية مفعولها الاول وبينة صفة لأن « ترك » اختلف فيها النحاة فمنهم من جعلها تتعدى الى واحد ومنهم من جعلها بمعنى صير فإلى مفعولين وهو اختيار ابن مالك وأنشد :

وربيته حتى إذا ما تركته
أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

ولقوم متعلقان ببينة وجملة يعقلون صفة لقوم .

البلاغـة :

فن الاشارة :

في قوله « ان فيهـا لوطاً » فن الاشارة وقد تقدم ذكره كثيراً في هذا الكتاب فليس المراد إخبارهم بكون لوط في القرية وانما هو جدال في شأنه لأنهم ذكروا أن أهلها سيهلكون بسبب امعانهم في الظلم فاعترض عليهم بأن فيها من هو بريء الساحة من الذنب لم يجترح ذنباً ولم يقترف إثماً ولم يشارك قومـه فيما هم ممعنون فيه من غي وارتكاس وفي هذا كله أيضاً إشارة الى أن من واجب الانسان المؤمن أن يتحزن لأخيه وأن يسارع الى رد الحيف عنه ويتشمر للدفع عنه وهذا من بليغ الاشارة وخفيها .

الفوائـد :

نائب الفاعل :

ينوب عن الفاعل بعد حذفه واحد من أربعة :

١ ــ المفعول به نحو « وغيض الماء وقضي الأمر » .

٢ ــ المجرور بحرف الجر نحو « ولمـا سقط في أيديهـم » شريطة أن لا يكون حرف الجر للتعليل فلا يقال وُقف لك ولا من أجلك ويقال في اعرابه انه مجرور لفظاً بحرف الجر مرفوع محلاً على أنه نائب فاعل ، غير انه اذا كان مؤنثاً لا يؤنث فعله بل يبقى مذكراً فلا يقال ذهبت بفاطمة بل ذُهب بفاطمة .

٣ ــ الظرف المتصرف المختص نحو مُشي يوم كامل وصيم رمضان ، والمراد بالظرف المتصرف ما يصح الإسناد اليه كيوم وليلة

ودهر وشهر وغير المتصرف مالا يصح الاسناد اليه كحيث وعند ، والمراد بالمختص أن يكون مفيداً غير مبهم ويكون مختصاً بالوصف نحو جلس مجلس مفيد أو بالاضافة نحو سهرت ليلة القدر أو بالعلمية نحو صيم رمضان فلا تنوب عن الفاعل الظروف المبهمة نحو زمان ووقت ومكان غير مضافة .

٤ ـ المصدر المتصرف المختص نحو « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة » فنفخة نائب الفاعل وهو مصدر متصرف يصح الإسناد إليه ومختص لكونه موصوفاً ويمتنع سير سير لعدم الفائدة ، وقد ينوب عن الفاعل في المصدر المتصرف المختص ومنه قول الفرزدق :

يغضي حياء ويغضى من مهابته

فما يكَلَّم إلا حين يبتسم

فيكون المعنى يغضي الاغضاء المعهود وهو إغضاء الاجلال من مهابته فنائب الفاعل ضمير الاغضاء المفهوم من يغضي ، ولا يجوز أن يكون من مهابته في موضع الرفع على أنه نائب الفاعل لأن حرف الجر هنا للتعليل فهو في محل نصب على أنه مفعول من أجله ، ومن أمثلته أيضاً قول طرفة بن العبد البكري :

فيا لك من ذي حاجة حيل دونها

وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله

فيكون المعنى حيل الحول المعهود ، ولا يصح أن يكون الظرف لأنه غير متصرف .

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

اللغـــة :

(ولا تعثوا) : ولا تفسدوا وفي المصباح : « عثا يعثو وعثي يعثى من باب قـال وتعب أفسد فهو عاث » وفي القاموس : « وعثا كرمى وسعى ورضي عُثيّاً وعِثيّاً وعَثَيَاناً ، وعثا يعثو عثواً أفسد » .

(الرجفة) : الزلزلة الشديدة وفي الأساس : « ورجفت الأرض « فأخذتهم الرجفة » « يوم ترجُف الأرض والجبال » ورجف الشجر وأرجفته الريح ورجف البعير تحت الرحل والمطي تحت رحالها رواجف ورجّف ، وجاءنا شيخ ترجُف عظامه . ومن المجاز : خرجوا يسترجفون الأرض نجدة وارتجفت بهم دفتا الشرق والغرب وأرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصيح عندهم وهذا من أراجيف الغواة والإرجاف مقدمة الكون وتقول : إذا وقعت المخاويف ، كثرت الأراجيف » .

(حاصباً) : ريحاً عاصفة فيها حصباء وفي المختار : « عصفت الريح اشتدت وبابه ضرب » .

الاعراب :

(والى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) الواو عاطفة والى مدين متعلقان بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح أي وأرسلنا الى مدين شعيباً وأخاهم مفعول به وشعيباً بدل أو عطف بيان والفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وقد مر حكم المنادى المضاف الى ياء المتكلم واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وارجوا عطف على اعبدوا واليوم مفعول به والآخر صفة لليوم . (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الواو عاطفة ولا ناهية وتعثوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وفي الأرض متعلقان بتعثوا ومفسدين حال . (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) الفاء عاطفة وكذبوه فعل ماض وفاعل ومفعول به، فأخذتهم الفاء عاطفة وأخذتهم فعل ماض ومفعول به مقدم والرجفة فاعل مؤخر فأصبحوا

عطف على فأخذتهم والواو اسم أصبح وفي دارهم متعلقان بجاثمين وجاثمين خبر أصبحوا • (وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم) الواو عاطفة وعاداً مفعول به لفعل محذوف معطوف على ما قبله أي وأهلكنا عاداً ، وثموداً عطف على عاداً بالصرف وتركه والواو عاطفة وقد حرف تحقيق وتبين فعل ماض وفاعل مستتر تقديره اهلاكهم وقدره بعضهم آيات بينات تتعظون بها وتتفكرون فيها ومن مساكنهم متعلقان بتبين أي من جهة مساكنهم إذا عرجتم بها • (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) الواو عاطفة وزين فعل ماض ولهم متعلقان بزين والشيطان فاعل وأعمالهم مفعول به فصدهم عطف على زين وعن السبيل متعلقان بصدهم والواو حالية وكانوا فعل ماض ناقص والواو اسمها ومستبصرين خبرها أي والحال أنهم كانوا متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم أصموا آذانهم وأغشوا عيونهم عن الحق ورؤية معالمه •

(وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) وقارون معطوف على عاد ، وفرعون وهامان عطف عليه وقدم قارون لقرابته من موسى أي أهلكناهم جميعاً والواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وجاءهم فعل ومفعول به مقدم وموسى فاعل وبالبينات متعلقان بجاءهم فاستكبروا عطف على جاءهم وفي الأرض متعلقان باستكبروا والواو حالية وما نافية وكانوا كان واسمها وسابقين خبرها أي أنهم لجوا في طغيانهم ولكنهم لم يكونوا فائتين فأدركهم عذابنا • (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) الفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعرف مصيرهم فقد أخذنا كلا منهم بذنبه • وكلاً مفعول مقدم

لأخذنا وأخذنا فعل وفاعل ، فمنهم الفاء عاطفة ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وهي نكرة موصوفة وأرسلنا صفة وعليه متعلقان بأرسلنا وحاصباً مفعول أرسلنا . (ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا) الواو عاطفة ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة أخذته الصيحة صفة ، ومنهم من خسفنا به الأرض : عطف على سابقتها وكذلك ومنهم من أغرقنا . (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الواو عاطفة وما نافية وكان الله كان واسمها واللام لام الجحود ويظلمهم منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود والواو حالية ولكن مخففة مهملة وكانوا كان واسمها وأنفسهم مفعول مقدم وجملة يظلمون خبر كانوا .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

اللغــة :

(العنكبوت) : دويّبة معروفة تنسج من لعابها خيوطاً وتصيد بذلك النسيج طعامها والجمع عناكب وعنكبوتات والعنكب ذكرها

والجمع عناكب وعثاكيب والعنكبة والعنْكباة والعكنْباةأنثاها والجمع عناكب وعناكيب،وقال علماء التصريف«والعنكبوت معروف،ونونهأصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل قولهم في الجمع عناكب وفي التصغير عنيكيب ويذكر ويؤنث وهذا مطرد في أسماء الأجناس » وقال ابن يعيش في شرح المفصل « ومن ذلك فعللوت قالوا عنكبوت وتخربوت ولم يأت صفة فالعنكبوت معروفة وهي دويبة تنسج لها بيوتاً من خيوط واهية والتخربوت الناقة الفارهة والواو والتاء في آخرهما زائدتان زيدا في آخر الرباعي كما زيدا في آخر الثلاثي من نحو ملكوت ورهبوت » وسيأتي البحث عن التشبيه المتعلق ببيت العنكبوت في باب البلاغة .

الاعراب :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)حال من اتخذ الاصنام أولياء رعبدها واعتمدها راجياً نفعها وشفاعتها كحال العنكبوت كما سيأتي في باب البلاغة . ومثل مبتدأ والذين مضاف اليه وجملة اتخذوا صلة وهو فعل وفاعل ومن دون الله حال وأولياء مفعول به وكمثل خبر وقد تقدم نظيره ، العنكبوت مضاف اليه وجملة اتخذت بيتاً حالية . (لو كانوا يعلمون) لو شرطية وكان واسمها وجملة يعلمون خبرها وجواب لو محذوف تقديره لما عبدوها . (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم) الجملة تعليل لما قبله وان واسمها وجملة يعلم خبرها وما اسم موصول مفعول يعلم وجملة يدعون صلة والعائد محذوف أي يعلم الذين يدعونهم ويعلم أحوالهم والمراد بالتعليل التوكيد لما ضربه من مثل ومن دونه حال ومن شيء متعلقان

يدعون ويجوز أن تكون ما نافية ومن شيء مفعول يدعون على أن من زائدة لسبقها بالنفي وجملة ما يدعون في محل نصب مفعول يعلم وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان . وقال بعضهم : « ما استفهامية أو نافية أو موصولة ومن للتبعيض أو مزيدة للتوكيد ، وقيل ان هذه الجملة على إضمار القول أي قل للكافرين إن الله يعلم أي شيء يدعون من دونه » . (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) الواو عاطفة وتلك مبتدأ والامثال بدل وجملة نضربها للناس خبر ويجوز أن يكون الامثال خبراً وجملة نضربها حال يكون أو خبراً ثانياً ، والواو حالية وما نافية ويعقلها فعل مضارع ومفعول به وإلا أداة حصر والعالمون فاعل يعقلها وسيأتي بحث الأمثال في باب البلاغة .

(خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين) كلام مستأنف للشروع في تسلية المؤمنين بعد أن خامرهم اليأس من إيمان الكفار . وخلق الله السموات فعل وفاعل ومفعول به وبالحق حال والباء للملابسة وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن المقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن المؤخر وللمؤمنين صفة لآية .

البلاغة :

في قوله « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » فن التمثيل وقد تقدمت نماذج مختارة منه وبعضهم يجعله ضرباً من ضروب الاستعارة ويمثل له بقول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي

بسهميك في أعشار قلب مقتّل

فمثّل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلّى وله سبعة أنصباء ، والرقيب وله ثلاثة أنصباء فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ، ومثّل قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل . وفي الآية مثّل ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ، أي كما صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد صح أن دينهم أضعف الأديان وأوهنها .

ومن جيد التمثيل قول عمر بن أبي ربيعة وكانوا يسمون شعره « الفستق المقشر » :

أيها المنكح الثريا سهيلاً
عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استهلت
وسهيل إذا استقل يماني

يعني الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وكانت نهاية في الحسن والكمال ، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية في القبح والدمامة ، فمثّل بينهما وبين سمييهما ولم يرد إلا بُعد ما بينهما وتفاوته خاصة لأن سهيلاً اليماني قبيح لا دميم .

وعليه ورد قول المتنبي أيضاً من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب الخارجي ومخالفته كافوراً :

برغم شبيب فارق السيف كفه
وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقـــاب الناس قالـــت لسيفه
رفيقـــك ُقيســـي وأنت يمـــاني

فإن شبيباً الخارجي الذي خرج على كافور الاخشيدي وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب ، وأخبار ذلك مشهورة والسيف الذي يقال له يماني في نسبته الى اليمن ، ومراد المتنبي أن شبيباً لما قتل وفارق كفه السيف فكأن الناس قالوا لسيفه : أنت يمـاني وصاحبك قيسي ولهذا جانبه السيف وغارقه •

التمثيل في رأي عبد القاهر :

وسبب آخر يذكره عبـد القاهر مبيناً به روعة التمثيـل ويراه محيطاً بأطراف الباب وذلك ان لتصور الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله باباً آخر من الظرف واللطف ومذهباً من مذاهب الاحساس لا يخفى موضعه من العقل وإذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت الى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب والتمثيل أخص شيء بهذا الشأن •

قال عبد القاهر : « وهل تشك في أنه يعمـل عمـل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر ُبعد ما بين المشـرق والمغرب وهو يريك المعاني الممثلة شبهاً في الاشخاص الماثلة ، وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ويريك التئام عين الأضداد، ويجعل الشيء قريباً بعيداً معاً » ونكتفي الآن بهذا القدر على أن نعود إلى هذا البحث في موطن آخر من هذا الكتاب •

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (٤٥) * ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩)

الاعراب :

(أتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة) كلام مستأنف مسوق للحث على تلاوة الكتاب وتدبر منطوياته والعمل بأحكامه ، وإقامة الصلاة المكتوبة المؤداة بالجماعة لتوحيد الكلمة وتصفية النفس من أدران الشوائب ، وأتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت أي يا محمد والخطاب له ليشمل كل فرد من أفراد أمته وما مفعول به وجملة أوحي صلة واليك متعلقان بأوحي

ومن الكتاب حال وأقم فعل أمر معطوف على أتل والفاعل مستتر تقديره أنت أيضاً والصلاة مفعول به • (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) الجملة تعليل للأمر بإقامة الصلاة ، وان واسمها وجملة تنهى عن الفحشاء والمنكر خبرها والواو استئنافية واللام لام الابتداء وذكر الله مبتدأ وأكبر خبر والله الواو عاطفة والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وفاعله مستترتقديره هو وما مفعول به وجملة تصنعون صلة • (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان إرشاد أهل الكتاب وكيفية مجادلتهم ، ولا ناهية وتجادلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وأهل الكتاب مفعول به وإلا أداة حصر وبالتي متعلقان بتجادلوا وموصوف الموصول محذوف أي بالمجادلة التي ، وهي مبتدأ وأحسن خبر والجملة صلة التي وإلا أداة استثناء والذين استثناء من الجنس وفي المعنى وجهان أوردهما أبو البقاء قال : « أحدهما إلا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم بالحسنى بل بالغلظة لأنهم يغلظون لكم فيكون مستثنى من التي هي أحسن لا من الجدل والثاني لا تجادلوهم البتة بل حكّموا فيهم السيف لفرط عنادهم » •

(وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) الواو عاطفة وقولوا فعل أمر وفاعل وجملة آمنا مقول القول وبالذي متعلقان بآمنا وجملة أنزل صلة وإلينا متعلقان بأنزل وأنزل اليكم عطف على أنزل الينا ففي الكلام حذف الموصول الاسمي أي والذي أنزل اليكم وإلهنا الواو عاطفة وإلهنا مبتدأ وإلهكم عطف على إلهنا وواحد خبر ونحن مبتدأ وله متعلقان بمسلمون

ومسلمون خبر نحن وفي هذا القول منتهى المناصحة والنصفة والاقناع.
(وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الانزال أنزلنا ، وأنزلنا فعل وفاعل واليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به . (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) الفاء تفريعية والذين مبتدأ وجملة آتيناهم صلة وهو فعل وفاعل ومفعول به والكتاب مفعول به ثان وجملة يؤمنون به خبر الذين . (ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) الواو عاطفة ومن هؤلاء خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يؤمن به صلة وهذا من قبيل الاخبار بالمغيبات وهي إحدى ميزات القرآن الكريم والواو حالية وما نافية ويجحد فعل مضارع مرفوع وبآياتنا متعلقان به وإلا أداة حصر والكافرون فاعل يجحد . (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) كلام مستأنف للشروع في إيراد الدليل على إعجاز القرآن ، وما نافية وكنت كان واسمها وجملة تتلو خبرها وفاعل تتلو مستتر تقديره أنت ومن قبله حال لأنه كان صفة لكتاب ويجوز تعليقه بتتلو ومن حرف جر زائد وكتاب مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول تتلو والواو حرف عطف ولا نافية وتخطه فعل مضارع معطوف على تتلو وبيمينك متعلقان بتخطه وإذن حرف جواب وجزاء مهمل وقد تضمن معنى الجواب لشرط محذوف أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط ، ولارتاب اللام واقعة في جواب إذن وارتاب المبطلون فعل ماض وفاعل .

(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) بل إضراب عن ارتيابهم أي ليس فيه ما يدعو الى الارتياب فيه وهو محفوظ في الصدور وهو مبتدأ وآيات خبر وبينات صفة لآيات وفي صدور

متعلقان بمحذوف خبر ثان لهو أي هو مثبت محفوظ في صدورهم والذين مضاف اليه وجملة أوتوا العلم صلة والعلم مفعول به ثان لأوتوا . (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) تقدم اعراب نظيرها قريباً .

البلاغة :

الاطناب :

في قوله « ولا تخطه بيمينك » إطناب لا بد منه فذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط فيه زيادة في التصوير واستحضار لنفي كونه كاتباً ، وقد قدمنا أن الاطناب يرد حقيقة ومجازاً ، وهذا من النوع الاول ومثله قولهم : رأيته بعيني وقبضته بيدي ، ووطئته بقدمي ، وذقته بفمي ، وكل هذا يظنه الظان المبتدىء والسطحي انه من قبيل الزيادة والفضول وانه لا حاجة اليه ويقول : إن الرؤية لا تكون إلا بالعين والقبض لا يكون إلا باليد والوطء لا يكون إلا بالقدم والذوق لا يكون إلا بالفم وليس الأمر كما توهم بل هذا يقال في كل شيء يعظم مناله ويعز الوصول اليه وهو كثير في القرآن الكريم وقد تقدم بعضه وسيأتي الكثير منه أيضاً .

الفوائد :

١ ــ أثارت دائرة المعارف إشكالاً في قوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون » فتقول : « إنها تدل على أنه تعلم القراءة في الكبر أي بعد نزول القرآن وإن كان التعبير غامضاً أيضاً » وليس التعبير غامضاً ولكن التخريج الذي خرجته دائرة المعارف الاسلامية فاسد من أساسه ، إذ أن لفظ

الآية صريح كل الصراحة في الدلالة على أن أهل مكة عرفوا عن النبي قبل نزول الوحي أنه لم يكن يتلو كتاباً ولا يكتب بيمينه ولو أنه كان كذلك إذن لارتاب المبطلون بأن يذكروا للناس انه كان يخلو الى نفسه فيكتب القرآن ويعده ثم يخرج للناس فيتلوه عليهم ، ولم تقف دائرة المعارف الاسلامية عند هذا الحد فأوردت آية الفرقان وهي « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وواضح أن مفهوم هذه الآية لا يدل على شيء مما تخرصت به دائرة المعارف الاسلامية إذ أنها تدل في بساطة تامة على أن كفار قريش كانوا يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب ما يملى عليه من أساطير الأولين وليس كل ما يدعي الكفار صواباً بل هو هجوم يقصد منه تجريح القرآن وإضعاف شأنه ويدل على مغالطة دائرة المعارف الاسلامية انها تغافلت الآية السابقة إذ يقول تعالى : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً ، وقالوا أساطير الأولين » ... الآية وقد أوردنا حملة فقهاء الشرق والغرب على أبي الوليد الباجي لزعمه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية .

٢ ـ كيف تمّ تدوين القرآن :

ورد في كتاب الإتقان للسيوطي عن زيد بن ثابت قال « قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء » وعن زيد ابن ثابت أيضاً قال : كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع » قال الخطابي : « إنما يجمع النبي صلى الله عيله وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بعهده

الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر » .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن » وعلق السيوطي على هذا الحديث بقوله : « لا ينافي ذلك لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور » .

وقال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنن : « كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه بكتابته ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشراً فجمعها جامع وربطها بخيط لا يضيع منها شيء » .

قال السيوطي : « وقد تقدم في حديث زيد أنه جمع القرآن من العسب واللخاف وفي رواية والرقاع وفي أخرى وقطع الاديم وفي أخرى الاكتاف وفي أخرى والأضلاع وفي أخرى والاقتاب والعسب » . جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض ، واللخاف جمع لخفة وهي الحجارة الرقاق ، وقال الخطابي : صفائح الحجارة ، والرقاع جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد ، والأكتاف جمع كتف وهو العظم الذي للبعير ليركب عليه .

وروى البخاري في تفسيره في ذلك رواية له : « قال علي عليه السلام أن رسول الله أوصاني إذا واريته في حفرته أن لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله فإنه في جرائد النخل وفي أكتاف الإبل» والذي نراه ونستخلصه من مجموع هذه الأقوال أن النبي كان يبيح للمسلمين كتابة القرآن لمن كان يستطيع الكتابة منهم وانه كان يأمر كتابه بتدوينه ولكن التدوين لم يكن وفق نظام مقرر بحيث يقطع الى أن النبي خلف القرآن كله مدوناً مرتب السور مجموعاً .

ولما قبض الرسول بدأ التفكير في جمع المصحف ، وفي البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال : أرسل إليّ أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر :

ـ إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقال زيد لعمر :

ـ كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر :

ـ هذا والله خير .

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، قال أبو بكر:

ـ إنك رجل" شاب عاقل" لا نتّهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح

له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص » الى آخر براءة •

وواضح من هذا أن أبا بكر وعمر وغيرهما خشوا وقد اندفع المسلمون في حروب الردة ثم في حروب الفتح أن يهمل أمر القرآن وهو معجزة رسول الله الكبرى ودعامة الاسلام الأولى فاتفقوا على جمعه من هذه الصحائف المتفرقة التي كان يكتبها عارفو الكتابة من الصحابة ومن صدور الناس فكتب القرآن أو على الأصح نقل ما كان منه مكتوباً وأكمل بما كان محفوظاً في صدور الرجال •

وعلى الرغم من كثرة النصوص التي نقلنا بعضها ، لا يزال هناك بعض الغموض يحيط بالطريقة التي اتبعها زيد بن ثابت في جمع صحف القرآن ، فقد ذكر أنه كان يحفظ القرآن كله ، ومن المرجح أن عدداً من الصحابة كانوا يحفظون القرآن منهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وربما أبو بكر وعمر فلماذا لم يجتمع هؤلاء ويتموا عملهم مستعينين بالصحف التي أملاها النبي وبذاكرتهم ؟ ويظهر لنا أن هذه الطريقة الطبيعية التي اتبعت حتى تم لهم جمع المصحف بطريقة هادئة لا ارتجال فيها وهو ما عنته الآية الكريمة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولما كان عهد عثمان بن عفان جد من المناسبات ما دعا الى إعادة النظر في أمر هذه الصحف التي كتبها زيد بن ثابت •

روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا فأرسل عثمان الى حفصة بنت عمر بن الخطاب وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرسلي إلينا هذه الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل عثمان الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال زيد :

« ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف وقد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري وهي « من المؤمنين رجال" صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها مع سورتها في المصحف .

ترتيب المصحف :

أما بصدد ترتيب المصحف فيقول السيوطي : « الاجماع والنصوص على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك ، وذلك أن رسول الله كان يدل على مكان كل آية في سورتها ويؤيد هذا الرأي قول عثمان بن أبي العاص : « كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : « إن الله يأمر بالعدل

والإحسان وإيتاء ذي القربى » الى آخرها وقد التزم عثمان في تدوين المصحف ما علم أنه رأي رسول الله في ترتيب الآيات •

وأما ترتيب السور فهو متروك لاجتهاد المسلمين ولكننا تثبت رواية عن ابن عباس : روى ابن عباس قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفـال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهمـا ولم تكتبوا بينهمـا سطر بسم الله الرحمـن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجـل ذلك قرنت بينهمـا ولم أكتب سطر بسم الله الرحمـن الرحيـم ووضعتهـا في السبع الطوال •

وفي كتاب الاتقان طائفة هامة جداً من الترتيبات حسب أسباب النزول وفيما يلي الترتيب التاريخي كما رواه ابن عباس •

« السور المكية »

١ ـ اقرأ ، ٢ ـ ن ، ٣ ـ المزمل ، ٤ ـ المدثر ، ٥ ـ تبت ، ٦ ـ الشمس ، ٧ ـ الاعلى ، ٨ ـ الليل ، ٩ ـ الفجر ، ١٠ ـ الضحى ، ١١ ـ ألم نشرح ، ١٢ ـ العصر ، ١٣ ـ العاديات ، ١٤ ـ الكوثر ، ١٥ ـ التكاثر ، ١٦ ـ الماعون ، ١٧ ـ الكافرون ، ١٨ ـ الفيل ،

١٩ ــ الفلق ، ٢٠ ــ الناس ، ٢١ ــ الاخــلاص ، ٢٢ ــ النجــم ،
٢٣ ــ عبس ، ٢٤ ــ القــدر ، ٢٥ ــ الضــحى ، ٢٦ ــ البروج ،
٢٧ ــ التــين ، ٢٨ ــ قريش ، ٢٩ ــ القارعــة ، ٣٠ ــ القيامــة ،
٣١ ــ الهمــزة ، ٣٢ ــ المرســلات ، ٣٣ ــ ق ، ٣٤ ــ البلــد ،
٣٥ ــ الطــارق ، ٣٦ ــ الساعــة ، ٣٧ ــ ص ، ٣٨ ــ الاعــراف ،
٣٩ ــ الجن ، ٤٠ ــ يس ، ٤١ ــ الفرقــان ، ٤٢ ــ المــلائكة ،
٤٣ ــ مريم ، ٤٤ ــ طه ، ٤٥ ــ الواقعة، ٤٦ ــ الشعراء، ٤٧ ــ النمل،
٤٨ ــ القصص ، ٤٩ ــ بني إسرائيــل ، ٥٠ ــ يونس ، ٥١ ــ هود ،
٥٢ ــ يوسف ، ٥٣ ــ الحجر ، ٥٤ ــ الانعــام ، ٥٥ ــ الصافات ،
٥٦ ــ لقمــان ، ٥٧ ــ سبــأ ، ٥٨ ــ الزمر ، ٥٩ ــ المؤمنون ،
٦٠ ــ السجدة ، ٦١ ــ الشورى ، ٦٢ ــ الزخرف ، ٦٣ ــ الدخان ،
٦٤ ــ الجاثية ، ٦٥ ــ الاحقاف ، ٦٦ ــ الذاريات ، ٦٧ ــ الغاشية ،
٦٨ ــ الكهف ، ٦٩ ــ النحــل ، ٧٠ ــ نوح ، ٧١ ــ ابراهيــم ،
٧٢ ــ الانبيــاء ، ٧٣ ــ المؤمنون ، ٧٤ ــ السجدة ، ٧٥ ــ الطور ،
٧٦ ــ تبــارك ، ٧٧ ــ الحاقــة ، ٧٨ ــ المعــارج ، ٧٩ ــ النبــأ ،
٨٠ ــ النازعات ، ٨١ ــ الانفطار ، ٨٢ ــ الانشقاق ، ٨٣ ــ الروم ،
٨٤ ــ العنكبوت ، ٨٥ ــ المطففين .

« السور المدنية »

٨٦ ــ البقــرة ، ٨٧ ــ الانفــال ، ٨٨ ــ آل عمــران ،
٨٩ ــ الاحزاب ، ٩٠ ــ الممتحنة ، ٩١ ــ النساء ، ٩٢ ــ الزلزلــة ،
٩٣ ــ الحــديد ، ٩٤ ــ القتــال ، ٩٥ ــ الرعــد ، ٩٦ ــ الرحمن ،
٩٧ ــ الانسان ، ٩٨ ــ الطــلاق ، ٩٩ ــ البينة ، ١٠٠ ــ الحشــر ،
١٠١ ــ النصر ، ١٠٢ ــ النور ، ١٠٣ ــ الحج ، ١٠٤ ــ المنافقون ،

١٠٥ ـ المجادلة، ١٠٦ ـ الحجرات، ١٠٧ ـ التحريم، ١٠٨ ـ الجمعة، ١٠٩ ـ التغابن ، ١١٠ ـ الصف ، ١١١ ـ الفتح ، ١١٢ ـ المائدة ، ١١٣ ـ براءة .

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٥٢) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

الاعراب :

(وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) كلام مستأنف لتقرير نوع آخر من أنواع لجاجهم ومكابرتهم ، وقالوا فعل ملض والواو فاعل يعود على كفار مكة ولولا حرف تحضيض بمنزلة هلا وأنزل

فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل وآيات نائب فاعل ومن ربه صفة لآيات أو متعلقان بأنزل • (قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) إنما كافة ومكفوفة والآيات مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف هو الخبر أي ينزلها كيف يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً ، وإنما الواو عاطفة أو حالية وإنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ ونذير خبر ومبين صفة • (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريري والواو عاطفة على محذوف مقدر يقتضيه المقام أي أقصّر محمد ولم يكفهم ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكفهم فعل مضارع مجزوم بلم والهاء مفعول به وأن وما بعدها فاعل يكفهم وان واسمها وجملة أنزلنا عليك الكتاب خبر أن وجملة يتلى عليهم حالية • (إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة ورحمة اسمها المؤخر وذكرى عطف على رحمة ولقوم صفة لذكرى وجملة يؤمنون صفة لقوم • (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض) كفى فعل ماض والباء حرف جر زائد ولفظ الجلالة مجرور بالباء لفظاً فاعل كفى المرفوع محلاً وبيني ظرف متعلق بشهيداً وبينكم عطف على شهيداً وشهيداً تمييز وجملة يعلم حال وما مفعول يعلم وفي السموات صلة والارض عطف على السموات •

(والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) الذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وبالباطل متعلقان بآمنوا وكفروا بالله عطف على آمنوا بالباطل وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ أو ضمير فصل والخاسرون خبر هم أو خبر أولئك والجملة خبر الذين • (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب) كلام

مستأنف مسوق للتعجب أو الاستهزاء بهم ويستعجلونك فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به وبالعذاب متعلقان بيستعجلونك ولولا حرف امتناع لوجود وأجل مبتدأ ومسمى صفته والخبر محذوف واللام رابطة للجواب وجاءهم العذاب فعل ومفعول به وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم • (وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ويأتينهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره هو والهاء مفعول به وبغتة حال والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر وجملة هم لا يشعرون حالية •

(يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) يستعجلونك بالعذاب تقدم اعرابها وكرر الجملة للتعجب من حماقاتهم لأن من هدد بشيء التمس أسباب الوقاية منه أما هؤلاء فيستعجلونه • والواو حالية وان واسمها واللام المزحلقة ومحيطة خبر إن وبالكافرين متعلقان بمحيطة ، وعبر بالحال وأراد الاستقبال أي ستحيط بهم وذلك للدلالة على التحقق والمبالغة ، ويجوز أن يراد بجهنم أسبابها المؤدية إليها فلا تأويل في قوله محيطة •

(يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) الظرف متعلق بمحيطة وجملة يغشاهم العذاب في محل جر بإضافة الظرف إليها ومن فوقهم حال ومن تحت أرجلهم عطف على من فوقهم •

(ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) الواو عاطفة ويقول فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الموكل بالعذاب وقرىء ونقول وعلى كل حال الجملة معطوفة على يغشاهم وجملة ذوقوا مقول القول وهو فعل أمر وفاعل وما مفعول به على تقدير مضاف أي جزاء ما وجملة كنتم صلة وجملة تعملون خبر كنتم •

البلاغـة :

خص سبحانه وتعالى نار جهنم بالجانبين الاعـلى والاسفل ولم يذكر اليمين ولا الشمال ولا الخلف ولا الأمام لإظهار الفرق بينها وبين نار الدنيا التي تحيط بجميع الجوانب ، فنار جهنم لا تطفأ بالدوس عليها ولكنها تنزل من فوق ·

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

الاعراب :

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبـدون) يا حرف نداء وعبادي منادى مضاف لياء المتكلم والذين صفة لعبادي وجملة آمنوا صلة وإن واسمها وخبرها والفاء الفصيحة أي إن ضاق بكم موضع فإياي فاعبـدوا ، وإياي مفعول لفعـل محذوف تقديره اعبدوا إياي فاستغنى بأحد الفعلين عن الفعل الثاني ، فاعبدوني الفاء عاطفة على الفاء الأولى وجملة اعبدوني مفسرة وهي فعـل أمر وفاعل ومفعول به وهي الياء المحـذوفة · (كل نفس ذائقـة الموت ثم إلينا ترجعون) كل نفس مبتدأ وذائقة الموت خبرها والمراد مرارته ومشقته

ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي والينا متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات عطف على جملة آمنوا واللام موطئة للقسم ونبوئنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به وجملة القسم خبر الذين ، ولك أن تنصب الذين بفعل محذوف دل عليه الفعل المذكور بعده وهو نبوئنهم ومن الجنة حال وغرفاً مفعول به ثان لأن بوأ يتعدى لاثنين وقد مرّ نظيره في يونس والحج وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لغرفاً وخالدين فيها حال ونعم فعل ماض جامد لانشاء المدح وأجر العاملين فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف أي أجرهم •

(الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) الذين نعت للعاملين ولك أن تقطعه فترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو تنصبه على أنه منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح وجملة صبروا صلة وعلى ربهم متعلقان بيتوكلون ويتوكلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله والصبر هنا عام يشمل الهجرة ومفارقة الوطن وأذى المشركين وغير ذلك مما استهدف له المسلمون في مستهل أمرهم وتجري أحكامه على كل من امتحنته نوائب الايام وحدثان الزمان •

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

اللغــة :

(يقــدر) : يضيق ويقتر ، ولهــذا الفعل خصائص عجيبة فهو يتوزع على طائفة من المعاني سنتناولها فيما يلي :

يقال : قدر الرزق : قسمه وباب نصر وضرب وقَدَرَ وقدّر على عياله ضيق وقتر ، قال في الاساس : « وقدر عليه رزقه وقدّر : قتر » وقــدر يقــدر مــن باب علــم قَدْراً وقُدرة ومقــدرة ومقدَرَة ومَقْدُرة ومقداراً وقدارة وقُــدورة وقــدوراً وقدراناً وقَداراً وقِدَراً على الشيء قوي عليه ، وقدر يقدر من باب ضرب قدْراً الأمر دبره وقــدر الشيء بالشيء قاسه به وجعله عــلى مقداره وقدر يقدُر ويقدر من بابي نصر وجلس الله عظمه ، وقدر الرجل فكر في تسوية أمره وتدبيره وقدر يقدر من باب تعب قدراً بفتحتين قصرت عنقه ، وقدر على الشيء اقتدر .

(الحيوان) : مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واواً كما قــال سيبويه ، سمي ما فيه حيــاة حيواناً ، قالوا : اشتر الموتان

ولا تشتر الحيوان أي اشتر الارض والدور ولا تشتر الرقيق الدواب، وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي مافي بناء فعلان من معنى الحركـة والاضطراب كالنزوان واللهبـان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا المقام المقتضى للمبالغة .

الاعراب :

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها) كلام مستأنف مسوق لتقرير التوكل على الله وعدم الجزع ، وكأين تقدم إعرابها مفصلاً وهي هنا مبتدأ ومن دابة تمييزها المجرور بمن وجمل لا تحمل رزقها صفة لدابة وقولـه : (الله يرزقهـا وإياكم وهو السميع العليم) هو الخبر والله مبتدأ وجملة يرزقها خبر الله وإياكم عطف على الهاء والواو عاطفة وهو مبتدأ والسميع خبر أول والعليم خبر ثان . (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وإن شرطية وسألتهم فعل ماض والتاء فاعل والهاء مفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة خلق السموات والارض خبر من والجملة في محل نصب مفعول ثان لسألتهم المعلقة للاستفهام وسخر الشمس والقمر عطف على خلق السموات والأرض واللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحـذوفة لتوالي الامثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة والله خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أو مبتـدأ والخبر محـذوف تقـديـره الله خلـق السموات

والفاء الفصيحة وأنى اسم استفهام في محل نصب حال ويؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم) الله مبتدأ وجملة يبسط الرزق خبر ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ومن عباده حال ويقدر فعل مضارع معطوف على يبسط وله متعلقان بيقدر والضمير راجع لمن وان واسمها وعليم خبرها وبكل شيء متعلقان بعليم •

(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله) عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة لها في اعرابها • (قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) الحمد مبتدأ ولله خبر والجملة مقول القول وبل حرف اضراب وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعقلون خبره • (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) الواو استئنافية وما نافية وهذه مبتدأ والحياة بدل والدنيا نعت للحياة وإلا أداة حصر ولهو خبر هذه ولعب عطف على لهو • (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) الواو عاطفة وان واسمها والآخرة نعت للدار واللام المزحلقة وهي مبتدأ والحيوان خبر والجملة خبر إن ولو شرطية وكان واسمها وجملة يعلمون خبرها وجواب لو محذوف أي ما آثروا الحياة الدنيا •

فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ

أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

الاعراب :

(فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف دل عليه ما وصفهم وشرح من أمرهم هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد ولا يبعد أن تكون استئنافية ليتطرق الى نمط آخر من عنادهم • وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ركبوا في محل جر بإضافة الظرف اليها وفي الفلك متعلقان بركبوا وجملة دعوا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومخلصين حال وله متعلقان بمخلصين والدين مفعول به لمخلصين لأنه اسم فاعل • (فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة ونجاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والى البر جار ومجرور متعلقان بنجاهم وإذا فجائية وهي مع مدخولها جملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب لما وهم مبتدأ وجملة يشركون خبر هم • (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) اللام لام كي ويتمتعوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي وبما متعلقان بيكفروا وجملة آتيناهم صلة ما وليتمتعوا عطف على ليكفروا فهي مثلها ويجوز أن تكون اللام فيهما لام العاقبة والمآل ويحتمل أن تكون اللام فيهما لام الأمر وقرى وليتمتعوا

بسكون اللام أمر تهديد وسيأتي بحث واف عن معنى الأمر في باب البلاغة كما سيأتي بحث الخليل بن أحمد عن أقسام اللام في اللغة العربية في باب الفوائد والفاء الفصيحة وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع وفاعل . (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) الهمزة للاستفهام الانكاري المفيد للتقرير لأن همزة الاستفهام الانكاري إذا دخلت على النفي أفادت التقرير لأن الكلام يصير إيجاباً ، والواو عاطفة على محذوف تقدير لقد جعلنا آمنين قارين في مكة ولم يعلموا ذلك ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يروا وان واسمها وجملة جعلنا خبرها ومفعول جعلنا الأول محذوف أي جعلنا بلدهم مكة وحرماً مفعول به ثان وآمناً صفة والواو حالية ويتخطف فعل مضارع مبني للمجهول والناس نائب فاعل ومن حولهم حال .

(أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف وبالباطل متعلقان بيؤمنون وبنعمة الله يكفرون معطوف على ما قبله . (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه) الواو استئنافية ومن اسم استفهام متضمن معنى النفي في محل رفع مبتدأ وأظلم خبر وممن متعلقان بأظلم وجملة افترى على الله صلة وكذباً مفعول به وأو حرف عطف وكذب عطف على افترى وبالحق متعلقان بكذب ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءه فعل وفاعل مستتر ومفعول به . (أليس في جهنم مثوى للكافرين) الهمزة للاستفهام التقريري وليس فعل ماض ناقص وفي جهنم خبر ليس المقدم ومثوى اسمها المؤخر وللكافرين صفة لمثوى

وسيأتي معنى التقرير في باب البلاغة • (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) والذين مبتدأ وجملة جاهدوا صلة ومفعول جاهدوا محذوف وسيأتي سر حذفه في باب البلاغة وفينا متعلقان بجاهدوا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً واللام موطئة للقسم وجملة نهدينهم خبر الذين سبلنا مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض وان واسمها ومع المحسنين ظرف متعلق بمحذوف خبر إن •

البلاغة :

١ ـ معنى الامر :

قال الزمخشري : « فإن قلت : كيف جاز أن يأمر الله بالكفر وبأن يفعل العصاة ما شاءوا وهو ناهٍ عن ذلك ومتوعد عليه ؟ قلت : هو مجاز عن الخذلان والتخلية وإن ذلك الأمر متسخط الى غاية ، ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي الى ضرر جسيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه (أي غضبت) وقلت : أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسّر ولكنك كأنك تقول له : فإذا قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك » •

٢ ـ الاستفهام التقريري :

قلنا إن همزة الانكار إذا دخلت على النفي صار ايجاباً فيرجع

الى معنى التقرير ومنه في الشعر قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

قال بعضهم لو كان استفهاماً ما أعطاه الخليفة مائة من الابل وقيل لما بلغ جرير هذا البيت في القصيدة كان عبد الملك متكئاً فاستوى جالساً فرحاً وقال هكذا مدحنا وأعطاه مائة من الابل •

٣ ـ الحذف :

تقدم القول في حذف المفعول به للإيجاز وهو هنا في قوله « والذين جاهدوا فينا » فقد أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول لتتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وهذا أحسن من تقدير مفعول به خاص كما فعل الكثيرون من المفسرين ليتناول جميع الطاعات والمزدلفات •

الفوائد :

ذكر اللامات للخليل بن أحمد الفراهيدي :

ذكر الخليل بن أحمد شيخ سيبويه في مصنف صغير له أن عدد اللامات إحدى وأربعون لاماً ونوردها مع إلماع يسير إلى أحكامها كما أوردها الخليل ثم نعلق على ما بعض نراه جديراً بالتعليق منها :

١ ـ لام القسم وهي مفتوحة وبعدها نون مشددة وذلك مثل قوله عز وجل « لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألنّ يومئذ عن النعيم » •

٢ ـ لام جواب القسم وهي تشبه لام القسم وتقوم مقامها .

٣ ـ لام الأمر وهي لا تأتي أبداً إلا بعد واو أو فاء مثل قوله تعالى « فليعبدوا ربّ هـذا البيت » « ولتأت طائفة » وماأشبه ذلك فإن عدمت واو أو فاء كانت اللام مكسورة نحو قوله عز وجل : « لينفق ذو سعة من سعته » .

٤ ـ لام جواب الأمر وهي تشبه لام الأمر ، وأنا لا أعرف إلا حرفاً واحداً وهو قوله عز وجل : « ولنحمل خطاياكم » لا غـير .

٥ ـ لام الوعـد وهي تشبه لام الأمر وتقوم مقامهـا ، وأنا لا أعرف في القرآن إلا حرفين وهما في قولـه تعـالى : « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » .

٦ ـ لام الوعيـد وهي تشبه لام الأمر وتقوم مقامهـا ، وأنا لا أعرف في القرآن إلا أربعة أحرف وهي في قولـه عز وجل : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفرّ » ومثلها : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » لا غير .

٧ ـ لام التوكيد وهي مفتوحة وقبلها نون مشددة لا تأتي إلا بعد إن وإنا وأئنك وإنكم وإنهم ، وانهما ، وإنه ، وذلك مثل قوله تعالى « وإن الله لعليم حليم » و « إن الله لغفور رحيم » و« إننا لفي شك » و« يقول أئنك لمن المصدقين» « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين » « وإنه لحب الخـير لشديد » « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » .

٨ ـ لام العماد وهي مفتوحة ,لا تأتي إلا بعد الكيد أعني « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » « وإن كادوا ليستفزونك » وما أشبه ذلك .

٩ ـ لام الجحد وهي مكسورة في ذاتها ناصبة للفعل ولا تأتي إلا بعد كان وما كنا وما كانوا أعني بذلك الكون وذلك مثل قوله : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب» «وما كانوا ليؤمنوا » وما أشبه ذلك .

١٠ـ لام كي وهي مكسورة في ذاتها ناصبة للفعل ولا تأتي أبداً إلا بعد فعل قد مضى وذلك مثل قوله عز وجل : « ولتجري الفلك » وما أشبه ذلك .

١١ـ لام إن الخفيفة وهي مكسورة وتشبه لام كي وتقوم مقامها مثل قوله تعالى : « وأمرنا لنسلم لرب العالمين » « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

١٢ـ لام الغاية وهي تشبه لام كي وتقوم مقامها وذلك مثل قوله عز وجل « ليضلوا عن سبيلك » .

١٣ـ لام الترجي وهي مفتوحة وذلك مثل قوله تعالى « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » « لعلك باخع نفسك » « لعله يذكر أو يخشى » .

١٤ـ لام التمني وهي مفتوحة وذلك مثل قوله تعالى « يا ليتني كنت تراباً » « يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا » .

١٥ـ لام التحذير ، فلم أعرف في القرآن إلا حرفاً واحداً وهو قوله عز وجـل : « لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » لا غير ذلك .

١٦ـ لام المدح وهي مفتوحة ومن ذلك « لنعم دار المتقين » .

١٧ـ لام الذم وهي مفتوحـة أيضاً ومن ذلك « لبئس المولى ولبئس العشير » .

١٨ـ لام كما وهي مفتوحة وأنا لا أعرف في القرآن إلا حرفاً واحداً وهو قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » والمعنى كما آتيتكم .

١٩ـ لام المنقول وهي مفتوحة وذلك مثل قولـه عز وجل : « يدعو لمن ضره أقرب من نفعه » « ولمن صبر وغفر » والمعنى من يضره ومن يصبر .

٢٠ـ لام الجزاء وهي مفتوحة أبداً ولا تأتي إلا بعد لو ولولا وذلك مثل قوله تعالى « ولو شئنا لبعثنا » « ولو شئنا لرفعناه بها » وما أشبه ذلك .

٢١ـ لام الايجاب وهي مفتوحـة ولا تأتي أبداً إلا بعـد إن الخفيفة وذلك مثل قوله تعالى : « وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا » « وإن كلٌ لما جميـع لدينا محضرون » وما أشبه ذلك .

٢٢ـ لام الشفاعة وهي مكسورة في ذاتها ، وأنا لا أعرف في

القرآن إلا حرفاً واحداً وهو قوله عز وجل « ليقض علينا ربك » •

٢٣ـ لام الاستغاثة فهي لام الخفض الزائدة نحو : يا لزيد •

٢٤ـ لام الجر وهي مكسورة في ذاتها خافضة لغيرها وذلك مثل للمؤمنين للعالمين وما أشبه ذلك •

٢٥ـ لام الصفة وهي مفتوحة في ذاتها خافضة لغيرها ومثل ذلك : ولنا ولكم ولك وله وما أشبه ذلك وإنما فتحت هذه اللام وكسرت لام الجر للفرق بين الضمير والظاهر •

٢٦ـ لام الأصل وهي ساكنة نحو : الحسنة ، السيئة ، والوالدات وما أشبه ذلك •

٢٧ـ لام المعرفة وهي ساكنة وزائدة وتكون للتعريف وذلك مثل الرجل والغلام والجارية والمؤمنين والمتقين وما أشبه ذلك •

٢٨ـ لام التكثير وهي مفتوحة وهي لام أصلية وذلك مثل : أولئك ، أولئكم وأولات حمل وما أشبه ذلك ، وإنما سميت لام التكثير لأنك تخاطب الواحد بلفظ الجمع •

٢٩ـ لام الابتداء وهي مفتوحة نحو « ولذكر الله أكبر » « لقالوا إنما سكرت أبصارنا » « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » •

٣٠- لام التفضيل وهي تشبه لام الابتداء وتقوم مقامها وذلك مثل قوله تعالى: « ولعبد مؤمن خير من مشرك » ومثله: « لمسجد أسس على التقوى » وما أشبه ذلك .

٣١- لام ليس وهي مفتوحة وذلك مثل قوله تعالى «لايعلمون» « لايسمعون » « لايألونكم خبالاً » وما أشبه ذلك .

٣٢- لام النفي وهي مفتوحة تشبه لام ليس وتقوم مقامها وذلك مثل قوله تعالى: « ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب » « ولا أقول للذين تزدري أعينكم » والمعنى: ولا أقول لكم .

٣٣- لام غير وهي مفتوحة وتعطف ما بعدها على ما قبلها وذلك مثل قوله تعالى « لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » « لا شرقية ولا غربية » « لا ظليل ولا يغني من اللهب » وما أشبه ذلك .

٣٤- لام التبرئة وهي مفتوحة وتنصب النكرات نحو قوله تعالى « لا ريب فيه »« لا إكراه »« لا تثريب »« لا جرم » وما أشبه ذلك .

٣٥- لام الصلة وهي مفتوحة ولا تأتي إلا بعد الجحد وذلك مثل قوله تعالى: « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار » وما أشبه ذلك .

٣٦- لام النهي وهي مفتوحة في ذاتها جازمة لغيرها وذلك مثل قوله: « فلا يسرف في القتل »

٣٧ـ « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » « ولا تتبع الهوى » وما أشبه ذلك •

٣٨ـ لام الدعاء وهي تشبه لام النهي وتقوم مقامها وذلك مثل قوله تعالى : « ولا تحملنا مالا طاقة لنا به » « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » •

٣٩ـ لام الاستحقاق وهي مضمومة في آخر الكلام وذلك مثل ويل حيث وقعت • قال الخليل : « تمت اللام والحمد لله رب العالمين » •

ملاحظات :

١ ـ هذا ولم يذكر في الشرح لام الالحاق ولام الفصاحة وقد عدّها أولاً •

٢ ـ عدّ « لا » لاماً وهذا خلاف ما درج عليه النحاة •

أما ابن هشام فقد قسم اللام المفردة إلى ثلاثة أقسام : عاملة للجر ، وعاملة للجزم ، وغير عاملة ، وليس في القسمة أن تكون عاملة للنصب خلافاً للكوفيين ، فالعاملة للجر مكسورة مع كل ظاهر نحو لزيد ولعمرو إلا مع المستغاث المباشر لها فمفتوحة نحو يا لله ومفتوحة مع كل مضمر نحو لنا ولكم ولهم إلا مع ياء المتكلم فمكسورة •

وللام الجارة اثنان وعشرون معنى ذكرها في كتاب المغني فليرجع إليه من شاء •

ثم تكلم عن اللام العاملة للجزم ، وأما اللام غير العاملة فسبع :

لام الابتداء ، واللام الزائدة ، ولام الجواب واللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني عـلى قسم قبلهـا لا على الشرط ومن ثم تسمى اللام الموطئة للقسم،ولام أل،واللام اللاحقةلأسماء الاشارة للدلالة على البعد ، ولام التعجب غير الجارة والتفاصيل في كتاب المغني .